****

**أَعُـوْذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ**

**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ المُبين، وَأشهَدُ أنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبدُهُ ورَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.**

**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ المُنتَجَبين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالمُجَاهِدِين.**

**الَّلهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّل مِنَّا، إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَليَنَا، إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.**

**أيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَات:**

**السَّـلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛**

**قبل أن ندخل في موضوع المحاضرة، نؤكِّد على مسألتين:**

* **الأولى: فيما يتعلق بالمهلة المحددة لإدخال المساعدات إلى قطاع غزَّة:**

**نحن على موقفنا،** والقوات المسلحة على أُهْبَةِ الاستعداد لتنفيذ العمليات، وتبدأ الإجراءات لتكون حيِّز التنفيذ منذ لحظة انتهاء المهلة، إن لم تدخل المساعدات إلى قطاع غزَّة.

**طبعـــاً، نحن نؤكِّد على** أن من مسؤولية الجميع (كل العرب، كل الأنظمة العربية، كل العالم الإسلامي) أن يسعى لإدخال المساعدات إلى قطاع غزَّة، وأن يضغط لفعل ذلك، مع أننا نعرف أن الكثير منهم ليسوا ملتفتين إلى هذا الموضوع إطلاقاً، لكن من باب التذكير بالمسؤولية، وإقامة الحُجَّة؛ **لأن** هذه مسؤولية على الجميع.

* **المسألة الثانية: فيما يجري في سوريا، وارتكاب الجماعات التكفيرية لجرائم الإبادة الجماعية، ضد المدنيين، المسالمين، العُزَّل من السلاح، في الساحل السوري:**

**ما حدث ويحدث هو إجرامٌ فظيعٌ،** تجب إدانته، ويجب استنكاره، ويجب السعي الحثيث لوقفه، وليس من المقبول تبريره، ولا التغطية عليه، ولا التقليل من حجمه، أو من فظاعته؛ **لأنه** شيء فظيع جدًّا، المعلومات تفيد عن أن الضحايا لتلك الجرائم الفظيعة من المدنيين، المسالمين، العُزَّل من السلاح، قد بلغوا الآلاف، وليس فقط المئات.

**الإجرام التكفيري ضد المدنيين المسالمين، العُزَّل من السلاح في الساحل السوري، هو يكشف حقيقة تلك الجماعات،** كما هي سابقاتها الإجرامية، وأنها تحذو حذو اليهود الصهاينة؛ **لأن** ذلك المسلك الإجرامي في قتل المسالمين، العُزَّل من السلاح، المدنيين، وفيهم الأطفال والنساء، ليس من الإسلام في شيء، الإسلام بريءٌ من ذلك، في مبادئه، في شرعه، في نهجه، في تعليمات الله ورسوله "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، ذلك محرمٌ شرعاً، إجرام بكل ما تعنيه الكلمة؛ **إنما** هو نتاجٌ للتربية والهندسة اليهودية والصهيونية، هم من يمتلكون تلك الروحية الإجرامية، والمنهج الإجرامي، ويمتلكون الفلسفة التي تبيح مثل هذا الإجرام الفظيع جدًّا، وهو النمط والسلوك الصهيوني المعروف، المعروف، وهو- في نفس الوقت- خدمة فعلية لأمريكا وإسرائيل، كما قلنا بالأمس: **من حيث أنه** في إطار الخطة الإسرائيلية لتمزيق النسيج الاجتماعي السوري، **ومن حيث أنه** دفعٌ بأبناء الشعب السوري للاحتماء بالآخرين، مقابل القبول بالاحتلال؛ **لأن** الأكراد- كما قلنا بالأمس- محميون بالأمريكي، والدعم الأمريكي، وهم في موقف قوي، والدروز هناك محميون بالحماية الإسرائيلية؛ **بينما** يفترض أن يكون كل أبناء الشعب السوري، بمختلف اتجاهاتهم، أن يكونوا محميين بالدولة، أن تكون هناك دولة تحمي الجميع، وتحمي- بالدرجة الأولى- المواطنين، المسالمين، العُزَّل من السلاح؛ **ولـذلك** ما يحدث هناك هو خدمة- فعلاً- لأمريكا، وخدمة واضحة ومكشوفة للإسرائيلي.

**الموقف العربي الرسمي كان مخزياً كالعادة،** كما هي القصة تجاه فلسطين، وتجاه أي مظلومية لأي شعب عربي، ليس هناك أمل إطلاقاً لأي موقفٍ مُشرِّف للأنظمة العربية، مواقفهم دائماً تجاه قضايا شعوب أُمَّتنا مواقف مخزية، وهي عارٌ عليهم، لا يُمثِّلون أي أمل لهذه الشعوب.

**الرعاة الإقليميون هم شركاء في الجرم،** وهم يسعون- مع ذلك- لتبرير ما يحدث، والتغطية عليه في حجمه وفي فظاعته؛ **ولـذلك** نلحظ أن وسائلهم الإعلامية- بالرغم من هول ما حدث، إجرام كبير جدًّا، وفظيع للغاية- تحاول التغطية على ذلك، وتتجاهل المشاهد الكبيرة للإجرام الفظيع جدًّا، للضحايا بالمئات من أبناء الشعب السوري، جرائم واضحة مكشوفة، في مشاهد الفيديو تظهر تلك الجماعات التكفيرية وهي تباشر إعدام المدنيين، المسالمين، العُزَّل من السلاح، وتقتلهم بكل وحشية في الشوارع، في القرى، في البساتين... في مختلف المناطق، تقتل الناس في منازلهم، على أبواب منازلهم، تقتلهم في متاجرهم، تقتلهم في الشوارع والطرقات، فتحاول وسائل الإعلام التابعة للرعاة الإقليميين، لتلك الجماعات التكفيرية، أن تغطي على ما يحدث، وتتجاهل ما يحدث، وَتُقَزِّمَهُ إلى حدٍ كبير، وتصوِّر المسألة أن هناك عمليات لاستهداف ما يسمُّونهم بـ[فلول النظام السوري]، وهناك- في هذا السياق- حوادث فردية بسيطة، يقللون منها، وهذا هو جرمٌ بحد ذاته، تغطية على إجرام بذلك المستوى الفظيع جدًّا، التغطية على إبادة جماعية هو إجرام، وهو محاولة لجحود الحقائق الواضحة المعروفة.

**ولـذلك أنا أنصح كل شعوب أمتنا،** ألَّا تعتمد على الوسائل الإعلامية، التابعة للرعاة الإقليمين لتلك الجماعات التكفيرية، فيما يتعلق بما يحدث في سوريا؛ **لأنها** تشترك في الإجرام، بدورها الذي يسعى إلى التغطية على الإجرام، والتبرير للجريمة، المشاهد واضحة، مشاهد فظيعة للغاية، إجرام كبير، **يعني:** في غضون أيام كم قتلت تلك الجماعات التكفيرية! وليست تصرفات فردية إطلاقاً، التصرفات الفردية عادةً ما تكون حوادث محدودة، من أفراد محدودين، لكنَّ مشاهد الفيديو تُبيِّن أن تلك الجماعات، وبشكلٍ جماعي، تباشر عمليات الإعدام الجماعي للناس، واستمر ذلك لأيام، كان بإمكان الرعاة الإقليميين لتلك الجماعات التكفيرية أن يتصلوا بها، أو أن يُوجِّهوا مندوبيهم المشرفين على تلك الجماعات في سوريا، بإيقاف ما يجري، لكنهم- كما يظهر- لن يفعلوا، فاستمر الإجرام بوتيرة فظيعة متزايدة، وبشكلٍ جماعي، على مدى هذه الأيام.

**فهذه هي الحقيقة،** ويجب أن تكون الحقيقة واضحة؛ **لأن** هذا المسلك الإجرامي، والنمط السلوكي، الذي تقتدي فيه تلك الجماعات بالصهاينة، ويبيِّن مدى ارتباطها بها، وبنهجها الإجرامي، مُهمٌ أن يكون ذلك واضحاً لشعوب أُمَّتنا؛ **لأنه** مسلك واحد لتلك الجماعات أينما كانت، هي بهذا المستوى من الإجرام.

**ولــذلك ينبغي للقنوات الفضائية،** التي تنقل الحقائق للناس، أن تبذل الجهد في نقل الصورة الحقيقية لشعوب أُمَّتنا، أن تظهر تلك المشاهد الفظيعة للناس؛ **ليعرفوا** من هم أولئك، **وليعرفوا** سوء ما يفعله الذين يُغَطُّون على تلك الجرائم، أو يبررونها، أو يحاولون أن يقللوا من فظاعتها، فالمشاهد هي تكشف الحقائق للناس.

**هو مسلك إجرامي متعمد،** واتَّجهت فيه تلك الجماعات ليس كتصرفات فردية، بشكلٍ جماعي، وممنهج، وفي وضح النهار، وصوَّرت نفسها، وهي تتباهى بذلك، منهم من يتباهى وهو ذاهب في الدبابات، منهم من ينتسب إلى ما يسمونه بالأمن العام، منهم من ينتسب إلى من يسمونهم بالجيش هناك، تسميات جديدة، لا تغير من الحقيقة شيئاً عن واقع تلك الجماعات التكفيرية المجرمة.

**فهذا للتاريخ، وهذا ما ينبغي أن يكون من الجميع،** أن يكون للجميع موقفٌ واضحٌ، يستنكر تلك الجرائم، يتبرأ منها، يسعى أيضاً للضغط لإيقافها؛ **لأنها** جرائم فظيعة للغاية، وحشية جدًّا، بشعة، بشعة بكل ما تعنيه الكلمة.

**نعود إلى موضوع الدرس.**

**وكنا تحدثنا بالأمس على ضوء قول الله تعالى:** {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ}[الأنعام:83]، **وتحدثنا عن** الحُجَّة من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

**الحق يمتلك الحُجَّة،** يمتلك البرهان، يستند إلى الحقيقة، إلى الواقع، إلى الثبوت في ما هو عليه؛ **أمَّا** الباطل فلا يستند إلى الحُجَّة، ولا إلى البرهان، ولا يمتلك الحقيقة؛ **وإنما** يعتمد أهل الباطل على الشُّبه، التي تشبه الأدلة، يحاولون أن يُزَوِّروا الحقائق، وأن يستفيدوا من زخارف القول، في التشبيه على من لا يمتلكون المعرفة الكافية، فيقدِّمون ما يشبه الدليل وهو ليس بدليل؛ **أمَّا** الحق فيمتلك الحُجَّة النيِّرة، والدليل الواضح، والبرهان القوي، الذي يُجَلِّي للناس الحقائق بوضوح.

**تحدثنا أن نبي الله إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ" استفاد مما أراه الله من الآيات،** في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}[الأنعام:75] ، استفاد منها في امتلاك الحُجَّة، وامتلاك الوسيلة والأسلوب المناسب، في عرض البراهين على قومه، في الوصول بهم إلى الحقيقة، في التفهيم لهم بالحقِّ والحقيقة، وأن **ثمرة الوعي الراسخ، والمعرفة الصحيحة، واليقين القوي، هو: امتلاك الحُجَّة النيِّرة، والمفحمة لأهل الباطل، والمزهقة للباطل**، وأن من هدى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، ومما يستفيده الإنسان من هدى الله، ومن خلال اهتدائه بهدى الله: يمتلك الحُجَّة، يمتلك القدرة على تقديم الحُجَّة، القدرة على تقديم هدى الله بشكلٍ صريح، بشكلٍ مفيد، بشكلٍ مقنع، وكذلك في الدعوة للآخرين إلى هدى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، هذا من هدى الله، أن تملك القدرة في الاحتجاج على الآخرين، في الدعوة للآخرين، في الحديث مع الآخرين، والتبيين للآخرين.

**نبَّهنا على الأهمية الكبرى لامتلاك الحُجَّة والبرهان، في** تقديم الحقِّ وإيضاحه للناس، **وفي** ربط الناس بهدى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، **وفي** السعي لإزهاق الباطل، وأن هذا سلاحٌ مهم، في مواجهة حملات الإضلال الرهيبة جدًّا في عصرنا هذا، والتي تمتلك في زماننا هذا ما لم يسبق أن امتلكته على مدى التاريخ، من وسائل، من أساليب، أصبحت متطورة إلى درجة كبيرة جدًّا.

**قوى الباطل والضلال، وعلى رأسها اليهود المُضِلُّون، يمتلكون في هذا العصر** من الإمكانات، والتقنيات، والوسائل، والأساليب، التي يُشَغِّلونها ويفعِّلونها للإضلال، وفي حملات الإضلال، ما لم يسبق أن امتلكته قوى الضلال على مدى التاريخ؛ **ولـذلك** يشتغلون بكل الوسائل، **عبر** الوسائل التعليمية، **عبر** الوسائل الإعلامية، **عبر** الوسائل التثقيفية، بكل ما فيها من تقنيات وإمكانات، مثلما هو الحال بالنسبة للشبكة العنكبوتية، مثلما هو الحال بالنسبة للقنوات الفضائية، للصحف، للمجلات، للنشاط المباشر بين أوساط الناس بأشكال متعددة، **كما أن لديهم** تشكيلات، تشكيلات كثيرة وواسعة، امتدادها واسع، يخترقون بها كل الساحة الإسلامية، لديهم من هم كُتَّاب، لديهم من ينشطون على مستوى التلقين، لديهم من ينشطون تحت عناوين مذهبية معينة، أو من ينشطون تحت عنوان اتجاهات معينة، يخترقون كل ساحة بما يتمكنون به، وبما يرونه مناسباً لاختراقها.

**فلـذلك نحن في مرحلة يجب أن يمتلك الإنسان المؤمن الوعي، البصيرة، الفهم الصحيح، الحُجَّة،** وكذلك من ينشط أو يتحرك في أداء المهام، التي هي مهام مُقَدَّسة، جزءٌ من الالتزام الإيماني والديني والجهادي في التصدي للباطل، التصدي أيضاً في هذا الميدان: في الميدان الفكري والثقافي، في الميدان التعليمي، في الميدان الإعلامي، هذه كلها ميادين مهمة للغاية، الميادين التي يعتمد عليها الأعداء، وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، هم يسعون لذلك بشكلٍ أساسي، دور المدفع، دور الدبابة، دور الطائرة، هو ما بعد ذلك، لكنَّ الشيء الأساس الذي يعتمدونه هو هذا: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}[الصف: 8]، بالكلمة، الكلمة التي تحمل الباطل، تحمل الشبهة، تُزَيِّف الحقيقة، التي يحاولون أن يؤثِّروا بها على الناس، ويوصلونها بوسائلهم وأساليبهم المختلفة، وعبر مختلف تشكيلاتهم، وأعوانهم، وعملائهم، الذين يرتبطون بهم ويعملون لصالحهم، **فمن يتحركون في أداء المهام المقدَّسة للتصدي للباطل يجب أن يمتلكوا الحُجَّة والبرهان،** أن ينطلقوا من خلفية قوية **في** استيعابهم لهدى الله، **وفي** امتلاكهم للحُجَّة والبرهان، **وفي** القدرة على التقديم الصحيح للحُجَّة والبرهان، والعمل على إزهاق الباطل.

**كذلك أشرنا بالأمس إلى خطورة التَّطفُّل،** ممن لا يمتلك الخلفية اللازمة من هدى الله، ليس لديه الاستيعاب الكافي، هو مؤمنٌ من حيث المبدأ، هذا شيءٌ جيد، لكن ليس من الصحيح أن يذهب إلى ميدان ليس مُؤَهَّلاً له، ليتطفل في نقاشات، أو حوارات على الإنترنت، في مواقع التواصل، في قنوات فضائية، وهو لا يمتلك الحُجَّة؛ **لأن** تقديمه الضعيف يخدم الباطل، ظهوره عاجزاً أو ضعيفاً يخدم الباطل**، فالمسألة هامة.**

**الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" قال في القرآن الكريم:** {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}[الأنعام:83]، وقد رفع الله نبيه إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، بما أعطاه من النور، والبصيرة، والمعرفة، والعلم الصحيح، والحكمة، والحُجَّة، والبرهان القوي، رفعه درجات، رفعه درجات في مستوى منزلته ومكانته عند الله، في قيمته الإنسانية، **هناك فارق كبير بين واقع الإنسان: في وقتٍ** لا يعرف فيه الحق المعرفة الكافية، لا يمتلك الحُجَّة النيِّرة، لا يمتلك الوعي الكافي؛ **وفي وقتٍ** يكون قد امتلك من هدى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، ومن المعرفة الصحيحة، ومن الحُجَّة والبرهان؛ لدعم الحق، والإيقان بالحق، والتَّمسُّك بالحق، امتلك المعرفة العالية، **العالية جدًّا:**

* **في مستوى** القيمة للإنسان، الأهمية للإنسان.
* **وفي مستوى** المنزلة عند الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، والمكانة عند الله "جَلَّ شَأنُهُ".
* **وفي مستوى** الدور الذي يمكن للإنسان أن يقوم به في واقع الحياة، عندما يتحرك في واقع الحياة في أداء مهامه، ومسؤولياته المقدَّسة، وهو ينطلق من هذه الأرضية: أرضية المعرفة، من واقع امتلاكه للنور، للهدى، للبصيرة، للحُجَّة، للبرهان، يكون دوره كبيراً في واقع الحال، اتِّجاهه هو الاتِّجاه الذي يرتقي به، ويرتقي بمن يتَّجهون معه في ذلك الاتِّجاه، يرتقي بهم في واقع الحياة، يكون رفعةً لهم، ومجدًّا لهم، وعزاً لهم، وشرفًا لهم، أن يتحركون بالنور.

**والله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" يريد لعباده المؤمنين أن يكونوا مستنيرين،** رسالته ورسله وهداه هو لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ألَّا يكون الإنسان في هذه الدنيا كالأعمى والأصم، وكالإنسان الذي هو يتيه في الظلمات، لا يدرك الحقائق؛ **لأنها** حالة خطيرة على الإنسان، يكون فريسةً سهلة لإغواء الشيطان له، ولإغواء أولياء الشيطان من المُضِلِّين؛ **بينما** الإنسان إذا امتلك النور، والبصيرة، والهداية، والمعرفة، والحُجَّة؛ يصبح مُحصَّناً، مُحصَّناً من الاصطياد من جانبهم، هم يصطادونك عندما تكون في الظلمات، يسهُل عليهم اصطيادك، وإغواؤك، وإضلالك؛ لكن عندما تكون في النور، تكون الحقائق واضحةً لك، اتِّجاهك اتِّجاه قائم على أساس الوعي والبصيرة، فيصعب عليهم أن يصطادوك، يستحيل عليهم أن يُضِلُّوك مع اعتصامك بالله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وأخذك بأسباب الهداية.

**ولـذلك يقول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى":** {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا}[النساء:174]، الله قدَّم لعباده البرهان؛ **لأنه** كما قلنا: الحقّ يمتلك الحُجَّة، يمتلك الدليل، يمتلك البرهان؛ **لأن** الحق هو الشيء الثابت، هو الشيء الصحيح، هو الشيء الحقيقي والواقعي؛ والباطل زيف، خداع، تضليل، تلبيس، تزييف للحقائق، فمهمة الرسل والأنبياء هي لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، والقيمة المعنوية للإنسان، **ما بين** أن يكون مستبصراً ومستنيراً بنور الله، **وما بين** أن يكون على خلاف ذلك، وفق المقارنة التي قدَّمها الله في القرآن الكريم: كالأعمى والأصمّ، والسميع والبصير، هذه هي حال الإنسان، عندما نجد في واقع الحياة، في شواهد الحياة، من هو أعمى لا يستضيء شيئاً، فاقد لحاسة البصر، وأصمّ، فاقد لحاسة السمع، كيف سيكون حاله تجاه المشاهدات والمسموعات، تجاه الحقائق الواضحة للآخرين، حاله المختلف تماماً عمَّن يمتلك هذه الحاسة ويرى، وعمَّن يمتلك حاسة السمع ويسمع؟ ذلك بحاسة البصر والسمع، يُدرك الحقائق، يسمع، يرى، **وهذا هو الفارق الكبير:**

* **بين** من اتَّجه اتِّجاه النور والهدى، والبصيرة والمعرفة، ارتبط بهدى الله، فاستفاد من هدى الله: البصيرة، والوعي العالي، والفهم الراسخ، والحُجَّة والبرهان.
* **وبين** الإنسان التائه في الظلمات، الذي لا يرى الحقائق، حتى لو كانت الحقائق واضحة.

**فلهـذا هذه المسألة مهمة جدًّا.**

**الحالة في رفع الدرجات،** {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ}[الأنعام:83]، هي ارتبطت- كما بيَّن الله في هذه الآية المباركة- بالاتِّجاه الذي يكتسب فيه الإنسان، بل يحصل أيضاً من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وبتوفيقه، على العلم الذي هو بهداية من الله، العلم الصحيح، ليس فقط مُسمَّى العلم كافياً؛ **لأنه** أيضاً من المسميات التي ضُرِبت، ضُرِبت كثيراً، وقُدِّم عنها مفاهيم خاطئة، العلم الذي هو بهدايةٍ من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وفيه الحُجَّة التي هي من الله "جَلَّ شَأنُهُ"، هو الذي يرتقي بالإنسان، يسمو به، أثره التربوي في نفسية الإنسان، أثره في مستوى المعرفة الحقيقية للإنسان، في دور الإنسان في الحياة، وفاعليته في الحياة، وكذلك في أثره الإيجابي في الواقع، أثره عظيمٌ جدًّا، وفي المنزلة عند الله يرتقي بالإنسان.

**ولـذلك حينما يتَّجه الناس مع هذه النماذج الهادية،** المهتدية بهدى الله، وتهدي بهدى الله، وتمتلك العلم الذي هو من هدى الله، ترتقي أيضاً في واقعها، تعتز، تكون في واقعها، في مواقفها، في اتِّجاهاتها، في الاتِّجاه الرفيع والعزيز والمنيع، ولا تنحط إلى الأسفل؛ **بينما** الحالة المعاكسة، لمن ليس له اتِّجاه العلم الصحيح، الذي هو من هدى الله، من المعارف الصحيحة التي هي من هدى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، لا هو يرتفع، ولا هو يرتقي، ولا الناس إذا اتِّجهوا اتِّجاهه يرتقون معه؛ **بل** هو يهبط بنفسه إلى الأسفل، ويهبط بالآخرين من حوله إلى الأسفل، **فيكون الواقع الذي هو نتيجة لذلك الاتِّجاه:** هبوط تحت مستوى سقف أهل الباطل، وواقع أهل الباطل، بل خضوع لأهل الباطل، وخنوع أمام أهل الباطل، وضِعْة وصغار أمام أهل الباطل.

**نجد**- على سبيل المثال- **في قصة نبي الله إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ"،** عندما خوَّفه قومه، كيف كان رده على تخويفهم؟ هل سكت؟ هل خنع؟ هل جمد؟ هل استسلم؟ هل تراجع؟ لا؛ **إنما** كان موقفه قوياً جدًّا، وقدَّم تلك المقارنة المهمة والعظيمة بين من يجب أن يخاف، ومن له أن يأمن، من هو الأحق بأن يكون آمناً.

**تجد البعض في واقع أمتنا**- وللأسف الشديد- **ممن قد يحملون اسم العلم،** ويقال عنهم بأنه: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة:11]، ليسوا من النوعية التي تتَّجه في واقعها الاتِّجاه الذي يرتفع بالناس، ينتشل الناس من الوضعية التي تعاني منها الأُمَّة، يرتقي بالناس إلى مستوى العِزَّة، إلى مستوى الكرامة، إلى مستوى المنعة، إلى مستوى الحُرِّيَّة الحقيقية، الحُرِّيَّة من العبودية للطاغوت... إلى غير ذلك، ولا يرتفعون هم، ليكونوا في موقفهم من الباطل وأهل الباطل بالمستوى اللائق، والمستوى المطلوب، والمستوى المتناسب مع المسؤولية؛ **بل** يهبطون هم إلى الأسفل، يتبنون حالة الخضوع، والخنوع، والاستسلام، وإذا خُوِّفوا خافوا، إذا خُوِّفوا خافوا، يُخَوِّفهم الآخرون من أمريكا؛ فيخافون، ويرضخون، ويسكتون، ويتبنون مسألة الجمود والاستسلام والسكوت، يُخَوِّفهم البعض من إسرائيل؛ فتكون النتيجة: أن يخافوا.

**نموذج نبي الله ابراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ"،** حتى تجاه مسألة التخويف، نموذج يُبيِّن هذه الحقيقة، في مفهوم: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ}[الأنعام:83]، فالله رفعه **بما** أعطاه من النور والحُجَّة والبرهان، **وبما** كان فيه من الموقف القوي، المعُبِّر عن هذا اليقين، عن هذه الثقة، عن هذا الوعي العظيم، **وهذه مسألة مهمة.**

{إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}[الأنعام:83]، الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، ربُّنا العظيم، الذي يرعى عباده بعظيم رعايته، ويرعى أولياءه المهتدين بهدية بعظيم رعايته، هو {حَكِيمٌ عَلِيمٌ}، يهدي من يشاء من عباده ليكون عنده حكمة، يَمْنَح من حكمته، {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}[البقرة:269]؛ **ولـذلك** يمنح أولياءه الذين يستجيبون له، يستجيبون له، يمنحهم الحكمة؛ **فيتَّجهون** الاتِّجاه الصحيح والصائب، في نهوضهم بمسؤولياتهم وأدائهم لمهامهم.

{عَلِيمٌ}[الأنعام:83]، يمنح العلم أيضاً، العلم الذي هو من هداه، عِلمٌ نافعٌ حقيقيٌ مفيدٌ، يترك أثره في الإنسان، وفي حياة الإنسان، وفي مواقف الإنسان، وفي اتِّجاه الإنسان.

**والحكمة والعلم أساسيان في مجال الهداية،** في مجال الهداية، ترتكز على مسألة الحكمة، وأيضاً العلم؛ **ولـذلك** نجد أَنَّه وهب وليه ونبيه وخليله إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ" الحكمة والعلم.

**هذا المقام بنفسه-** مقام نبي الله إبراهيم في قصة الاستعراض لمسألة (الكوكب، والقمر، والشمس)، وكيف قدَّم البراهين لقومه، والمقام كما قلنا: مقام عرض براهين، وسعي لهدايتهم، ليس مقاماً خاصاً به وهو يبحث عن إلهه، لم يكن مشركاً من قبل أبداً موحدٌ من الأساس هو- **فيه الكثير جدًّا من الدروس والعبر،** حرصنا على الاختصار.

**وفي ختام هذا المقام؛** لأننا سننتقل من بعده- إن شاء الله- إلى مقامات أخرى، إلى مواطن أخرى، إلى مواقف متنوعة، متعددة، فيما قَصَّهُ الله عن نبيه إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، **لكن للتأكيد على بعض ما ورد.**

**هناك دروس مهمة من القصة،** إضافة إلى ما قد سبق، أثناء عرض القصة تحدثنا عن كثيرٍ من الدروس، **في بداية المسألة: مبدأ التوحيد،** وما يبنى عليه، **نحن أكَّدنا على هذه المسألة:** ما يبنى على مبدأ الإيمان بوحدانية الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، أنه وحده الإله الحق، وهو ربُّنا وحده "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، ربُّ العالمين، هذا الذي هو الركن الأول من أركان الإسلام، مبدأٌ عظيم ومهمٌ جدًّا.

**الإشكالية الكبيرة في واقع المسلمين هي:** نقص الوعي تجاه هذا المبدأ، وتعطيل ثمرة هذا المبدأ، بل وضع هذا المبدأ في امتداده إلى واقع الحياة تحت التجميد، من أكثر أبناء الأمة، هذا المبدأ ليس خاصاً برفض الأصنام الحجرية، بل يشمل كل الأنداد التي يتَّخذها الناس أنداداً من دون الله.

**حينما نستعرض في القرآن الكريم،** ونقدِّم العرض التاريخي لحالة الشرك في الأمم والأقوام الماضية، والوثنية، قد يستغرب الناس، ويستسخفون تلك الحالة، **يعني:** حالة سخيفة، كيف يقوم ناس...! وهذا حصل- كما قلنا- حتى لدى حضارات، لدى أمم فيها فلاسفة، وقادة، وسياسيون، ومن كل فئات المجتمع، ومفكِّرون... وغير ذلك؛ **لكنهم** كانوا في هذا المستوى من الانحطاط والتخلُّف الفكري والعقائدي، فيصنعون هم وينحتون هم الأصنام من مختلف المواد المختلفة، يبيعون فيها ويشترون، يتبادلونها هدايا، ويتخذونها آلهة، يُعبِّدون أنفسهم لها، يطلبون منها النصر، والعزّ، والخير، يفعلون لها كل شيء، تحدثنا عن سخافة هذه، لكن الدور الخطير هو للمضلِّين، المُضِلُّون هم الذين يصلون بالناس إلى أي مستوى من الانحطاط، في تقبُّلهم للباطل حتى الباطل المكشوف.

**وهذا كان سيستمر في الواقع العربي،** كانت هذه الحالة من الشرك والوثنية حالة غالبة في واقع العرب، في مختلف بلدانهم، ولولا أن الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أنقذهم بخاتم رسله، وخاتم أنبيائه، رسول الله محمد "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، لكانوا مستمرين على ذلك إلى اليوم، لكانت الأصنام الحجرية، والأصنام بمختلف أنواعها من المواد التي تصنع منها، لكانت في كل بلدٍ عربي، ولكانوا عاكفين عليها كما هي العادة، ولكن الله أنقذ العرب، وهيأ الفرصة لإنقاذ العالمين، بخاتم أنبيائه، وسيِّد رسله، محمد "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، وبالقرآن الكريم، والإسلام العظيم؛ **ولهـذا** يقول الله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً}[البينة:1-2]، **يعني:** لكانوا مستمرين، لولا هذا الإنقاذ، فلنعرف عظيم نعمة الله علينا.

**فيما يتعلق بهذا المبدأ العظيم: الإيمان بوحدانية الله،** الإنسان على المستوى الشخصي، لضمان مسيرته الإيمانية، والأُمَّة بشكلٍ عام، بحاجة إلى الاستيعاب القوي لمبدأ التوحيد، ومعنى (لا إله إلا الله)، معنى (لا إله إلا الله)، وامتداد هذا المبدأ في واقع الحياة.

**هناك دروس عظيمة، ومهمة، ومفيدة، لشهيد القرآن السَّيِّد/ حسين بدر الدين الحوثي "رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ"، في معرفة الله،** الدرس الأول منها كان مخصصاً لمعنى (لا إله إلا الله)، ويُركِّز على التعريف والتوضيح لمبدأ ألوهية الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أنه وحده الإله، والامتداد لهذا المبدأ في واقعنا: **في مستوى** الخوف والرجاء، **في مستوى** الخشية، **في مستوى** الواقع العملي، الموقف والالتزام العملي، وهو درسٌ عظيمٌ ومهمٌ، **كان مما جاء فيه:**

**((الشهادة بوحدانية الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، لأهميتها هي التي تجعلك تكفر بكل من يبرز لك إلهاً في هذه الدنيا غير الله، وإن كان هوى نفسك))**، لاحظوا، هوى النفس قد يبرز كإله لك، قد تُؤلِّه هوى نفسك، هذه حالة خطيرة على الإنسان، **((وإن كان هوى نفسك، قد يبرز الهوى إلهاً لك، ويبرز الخوف إلهاً لك، ويبرز الطواغيت آلهةً لك))**، **الطواغيت:** الطواغيت **من** زعماء مُضلِّين يستعبدون الناس وينحرفون بهم عن نهج الله، **من** مناهج مُضِلَّة تنحرف بك عن هدي الله، **من** شخصيات تتولاها فَتُضِلُّك عن نهج الله.

**((ويبرز الطواغيت آلهةً لك، وتبرز الدنيا إلهاً لك، وتبرز المطامع كلها آلهةً لك، فعندما تكون مقرراً في نفسك ألوهية الله وحده، فسوف تقهر كل من يبرز في هذه الدنيا إلهاً آخر غير الله لك، ألم يقل الله:** {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[الجاثية:23]**، أنت أَيُّها الإنسان يمكن أن تتَّخذ هواك تجعله إلهاً لك، كذلك من تطيعه من دون الله))،** **يعني:** بديلاً عن طاعة الله، تطيعه في معصية الله، **((فأنت قد عَبَّدت نفسك له، من تطيعه في معصية الله، تصبح قد عَبَّدت نفسك له، فكأنك اتخذته إلهاً، ألم يقل الله لبني آدم:** {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}[يس:60]**؟ سمَّى طاعتهم للشيطان عبادة؛ لأنهم أطاعوه في معصية الله، وكل من يوجب عليك أن تطيعه في معصية الله، فقد جعل نفسه إلهاً لك، فإذا أطعته فكأنك عبدته، وكأنك جعلته إلها)).**

**فلـذلك يجب أن نعي أهمية هذا المفهوم العظيم، وهذا المبدأ العظيم: مبدأ التوحيد،** وأن نتَّجه في مسيرة حياتنا بكلها على أساسه.

**هذا المبدأ العظيم،** **لأهميته** يقول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" لرسوله محمد "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، ويخاطبه: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[محمد:19]، **يعني:** علينا أن نأخذ العبرة، أن الله في هذه الآية يخاطب من؟ هل يخاطب المشركين فقط؟ يخاطب رسوله "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، يقول له: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[محمد:19]، وهو من أعلى الناس علماً وفهماً ويقيناً بذلك، لكن يتقرر في نفسك دائماً بشكلٍ واعٍ- وهو مجالٌ واسعٌ جدًّا، ودرجات متفاوتة جدًّا- تَرَسُّخ العلم بأنه (لا إله إلا هو)، **يعني:** في مسيرتك الإيمانية دائماً اسعَ باستمرار أن تُرسِّخ معنى (لا إله إلَّا الله) في نفسك؛ **يعني:** هذا مجال واسع، درجات متفاوتة، وهذا المبدأ هو كفيلٌ باستنقاذ أُمَّتنا وغيرها من الأُمَّم، وتحريرها من العبودية للطواغيت، هذه من أهم ثمرات مبدأ التوحيد.

**لا يليق بالأُّمة التي تقول عن نفسها أنَّها أُمَّة التوحيد أن تكون** خانعة، ذليلة، خاضعة، مستسلمة للكافرين، الضالِّين، أولياء الشيطان، الطغاة الظالمين، لا يليق بها هذا، هذا يتنافى مع انتمائها لهذا المبدأ العظيم، الله يقول: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النحل:36].

**يحرر الناس عن كل المؤثرات، التي تدفع بهم إلى أن يكونوا مستعبدين لغير الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى":** المخاوف المؤثِّرة عليهم، الرغبات المؤثرِّة عليهم، الأطماع المؤثِّرة عليهم؛ **ولهـذا** يقول الله: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[النحل:51]، نعم، هنا يقول: {فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، هذا مما يترتب على استيعابك لهذا المبدأ العظيم: أن تنحصر رهبتك وخوفك وخشيتك من عقاب الله، فوق كل شيءٍ من جانب الناس، وهذا يحرر الأُمَّة من قيود المخاوف، التي تُخضعها لأعداء الله وأعدائها.

**في مجال الثقة بالله والتوكل على الله، يقول الله:** {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}[الرعد:30]، كيف كان التوكل هنا ثمرةً ونتيجةً لهذا المبدأ العظيم.

**يربط الناس بنهج الله وشرعه وهديه،** كما قال الله تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}[النحل:2]، يُبنى على ذلك التقوى كثمرة لهذا المبدأ العظيم.

**يقول الله:** {فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}[الحج:34]، يُبنى على هذا المبدأ التسليم العميق لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

**يقول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى":** {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}[الشورى:21]، الإنسان يتحصَّن بمبدأ التوحيد من أن يُخْضِع نفسه لغير شرع الله ونهجه وهديه.

**وهكذا هي الآيات الكثيرة فيما يتعلق بهذا الموضوع.**

**في هذا العصر، أُمَّتنا مُعَرَّضة للاستعباد الأمريكي والإسرائيلي،** لابدَّ لها أن تتحرر بهذا المبدأ العظيم، المسعى اليهودي الصهيوني، الذي تتحرك فيه أمريكا وإسرائيل، هو الدفع لأُمَّتنا باتِّجاه الارتداد، والتحريف حتى لإسلامها ودينها وفق المعيار اليهودي، كما يحصل في المناهج الدراسية، والخطاب الديني، والتَّوجُّه السياسي، وفي الولاء والعداء لدى الموالين لأمريكا وإسرائيل، يُؤقلمون كل ذلك وفق المعايير اليهودية على حساب الدين، ويتَّجهون في اتِّجاه الطاعة لهم في معصية الله، وفي الصدِّ عن سبيل الله تعالى.

**بقي لنا أن نؤكِّد في مسألة التخويف أيضاً؛ لأنه** من أكبر الإشكالات في واقع أُمَّتنا، هناك أيضاً نصٌ جميلٌ لشهيد القرآن، قال فيه، ونقلناه باختصار: **((انطلق نبي الله إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ" من مقاييس المقارنة من قواعد ثابتة لديه، يُخوِّفونه بهذا، ويُخَوِّفونه بهذا، وكل تخويف يبدو تخويفاً بشيءٍ لا يُشَكِّل خطورةً مع المقارنة بما يجب أن تخافه من قبل الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى":** {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ}[الأنعام:81]**، أنت تريد أن تخوفني؛ من أجل أن تدفع بي إلى جانب الأمن، أليس كذلك؟ وأنا أُخَوِّفك بالله، أريد أن أدفعك إلى جانب الأمن،** {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ}**؟ أي الفريقين يصح أن يقال هو الآمن: من يكون في واقعه آمناً من عذاب الله وسخطه، أو من يحاول أن يأمن من عذاب الناس وسخطهم، ويوقع نفسه في عذاب الله وسخطه، هل هو آمن؟)).**

**فعلاً هذه المقارنة ذات أهمية كبيرة جدًّا،** إن شاء الله ننتقل إلى المقامات والمواقف الأخرى، لنبي الله وخليله إبراهيم "عَلَيْهِ السَّلَامُ".

**نَسْألُ اللَّهَ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُم لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهْدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.**

**وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛**